مجلة فصل الخطاب Journal of Faslo el-khitab
ISSN:1071-2335/ E-ISSN:2602-5922/ Legal Deposit N°: 2012-1759
مجلد 14، عدد رقم: 01، مارس 2025، صص: 219- 230
تاريخ الاستلام(2024/05/02)تاريخ القبول (2024/09/28)تاريخ النشر (2025/03/30)

تجليات أدب الأزمة في ديوان "ربما" لراوية يحياوي

The Manifestations of Crisis Literature in the "Maybe" Poetry Collectionby Rawya Yahyaoui

أحلام بوزيان
جامعة أمحمد بوقرة، بومرداس(الجزائر)، abouziane@univ-boumerdes.dz

ملخص:

في خضم العلاقات المتشابكة والصراع على سلطة الجزائر قبيل العقد الأخير من القرن الواحد والعشرين، وبينما كانت دماء الأبرياء والمجرمين تجري على ضفاف الحدود وعتبات البيوت وشواهد القبور، كانت الأنامل المثقفة تزحف رويدا على أعقاب ما تبقىَ من ورق صالح للكتابة كي تنأى بنفسها عن هاجس الحرب الأهلية وتؤثث عالما شبه وردي يمنحها متنفسا افتراضيا يجابه حقيقة الموت بمتخيل الحياة. فكانت "راوية يحياوي" كغيرها من ثوار الحلم، تنسج من مهجتها الجريحة كفنا لآلام الوطن وتحيك بخيوط الشمس جبة الأمان التي ستشرق على البلاد ذات فجر وتحرق كل ماضٍ كدر، لكن الذكريات ظلت عالقة بأظافرها ولم تمحَ كأثر الحناء. ما دفعنا للتساؤل عن تجليات الأزمة في شعرها؟ متكئين على ديوان "ربما" الذي حمل تواريخ سنين الجمر وأرخ لتجربة شعورية تتماهى إلى الخلود.

كلمات مفتاحية: أدب الأزمة؛ راوية يحياوي؛ الالتزام؛ العشرية السوداء؛ التجربة الشعرية؛ الأدب الجزائري.

Summary:

Amid the intertwined relationships and the struggle for power in Algeria before the last decade of the twenty-first century, while the blood of innocents and criminals flowed on the banks of borders, the thresholds of homes, and the gravestones, the educated fingers slowly crawled upon the remnants of usable paper to distance themselves from the anxiety of

المؤلف المرسل:أحلام بوزيان ، الإيميل:abouziane@univ-boumerdes.dz

civil war and to furnish a quasi-rosy world that grants them a virtual outlet to confront the reality of death with the imagination of life. Thus, Rawya Yahyaoui, like other dream rebels, weaves from her wounded spirit a shroud for the pains of the homeland and stitches with threads of sunlight a robe of safety that will one day dawn upon the country and burn away every past that has clouded it. Yet, memories remained stuck like thorns and were not erased like the trace of henna. This led us to question the manifestations of crisis in her poetry, relying on the Diwan 'Maybe,' which carries the dates of the years of embers and chronicles an emotional experience that merges into eternity.
Keywords: Crisis literature; Rawya Yahyaoui; commitment; black decade; poetic experience; Algerian literature

1.مقدمة :

تجسدت مأساة الوطن حبرا ودمعا وصبرا فكان من الصعب على الشعب - نخبة وعامة - وصف مشاعرهم وأحزانهم على مآل حالهم بعد معايشة المشاهد الدامية يوميا، وكان الشعراء أشد من قاسى أنواع الوهن النفسي بسبب رهف إحساسهم وهشاشة عواطفهم خاصة بعد اقصائهم من الركح وسحبهم إلى الهامش بعد تفشي ظاهرة اغتيال المثقفين، فأسكت اللسان وقبر المنبر وأحكم الزناد قبضته في ساح الحرب، لكن كل ذلك لم يلجم الدواة والمحبرة فخط القلم خلجات الروح وباحت القرائح بمحنتها.

فها هي «راوية يحياوي» تلملم بقايا حرائقها وتنفض عنها الرماد بعد عقد من مرور الأزمة لتعيد تركيبها في ديوان شعري يتهادى إلى النفس كعبير زهر فر من رياح الشتاء، موشح بالسؤال وبالاحتمال (ربما)، وبحقيبة من الآلام والآمال، فكيف تجسدت الفجيعة في حروفها الحبلى بالمأساة؟

2.تحديدالمفاهيم:

1.2 الأدب:

جاء في لسان العرب أن «الأدب الذي يتأدب به الأديب من الناس وسمي أدبا لأنه يؤدب الناس إلى المحامد وينهاهم عن المقابح وأصل الأدب الدعاء ومنه قيل للصنيع يدعى مدعاة ومأدبة، وفلان استأدب: بمعنى تأدب مدعاة ومأدبة، وفلان استأدب: بمعنى تأدب إليه الناس مدعاة ومأدبة، وفلان استأدب: بمعنى تأدب»[1]، فالأدب «رياضة النفس بالتعليم والتهذيب على ما ينبغي»[2] إذ يعتبر صفة حسنة تندرج ضمن الأخلاق الفاضلة التي يتحلى بها ذوو الألباب.

لكن المصطلح ما لبث أن اصطبغ حلة أخرى وأصبح يعرف بالكلام «الإنشائي البليغ الذي يقصد به التأثير في عواطف القراء والسامعين سواء أكان شعرا أم نثرا»[3]، فراح يعد انعكاسا للواقع بمتخيل وصفي يحاكي الرؤية الذاتية لصاحبها بمنظار جمعي، كونه يشكل «تصوير(ا) فني(ا) لنماذج ثورية يتخيرها الكاتب الأديب، ويفسر بواسطتها العالم عن طريق النموذج الخاص»[4] بعد تآلف العالمين: الداخلي والخارجي لتحقيق ابداع فني يكمل التجربة البشرية[5].

2.2 الأزمة:

ذكر أن أصلها من «أزم، الأزم، شدة العض بالفم كله، قيل بالأنياب والأنياب هي الأوازم، وأزمت يد الرجل ازمها أزما وهي أشد العض»[6]، فإذا استصعب علينا الأمر عضضنا شفاهنا السفلى بالنواجذ وأحكمنا العض عند الشعور بالارتباك أو بتأزم الأحداث تعبيرا عن عجزنا وفجعنا بالمعضلة التي فاجأتنا وحلت علينا، كونها تعرف بتغيرات «فجائية تعرض الاتزان النفسي للإنسان إلى الاهتزاز والتمزق، مما يجعله يشعر بالضيق والتوتر واليأس وبذلك يصاب بالأزمة»[7].

2. 3.أدب الأزمة:

في ظل الحرب الأهلية الجزائرية المشتعلة بين النظام والجماعات المسلحة إبان تسعينيات القرن المنصرم، وبينما الشعب يدفع ضريبة الموت المفجع بلا ذنب، ظهر جنس أدبي جديد يتماشى والراهن الدامي الذي تغرق فيه البلاد، عرف بأدب المحنة، أدب الأزمة وحتى بالأدب الاستعجالي، إلا أنه لاقَ نقدا كبيرا لما يحمله من معانٍ انتقاصيه في حق ما ألف آنذاك.

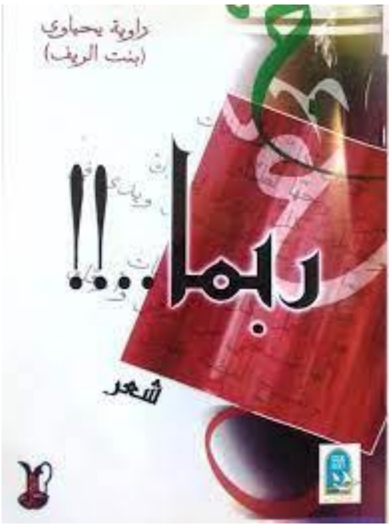
جاء أدب التسعينات محملا بالنكبات وبالحس التشاؤمي المؤثث بالكبت وبالخوف من رصاص القنص ومن مطبات المجهول، فثار المبدع في صمت وناح في عزلة على أمته المنحورة من قبل جزار مقنع، وحول الأرماس المرصوصة أمامه إلى حروف حية تنبض رفضا، مشكلا بذلك فضاء للمقاومة المتخيلة.

وبتسارع دقات الفؤاد المجزوع تتوالى الكلمات المفزوعة عجلا لتروي ظمأ الدفاتر الفارغة، وتتناثر حلما وأملا بغد أفضل، ولأن «الشعر هو الدواء لأبشع مرض يصيب الروح»[8]، عمل الشعراء الجزائريون على التأقلم مع الوضع الراهن بتقويض الوسائل المتاحة واستغلال الفرص للبوح بخلجات الوجدان في جرائد وصحف ودوريات ودواوين وملتقيات.

وحتى بعد طي الأزمة مع الألفية السابقة ظل الألم مسيطرا على المخيال الشعوري وفرض فضاءه المحني قسرا على من عايشوه ليستمر في بعث ما تبق من حرائق الأزمة ربما ينسى نسق العنف والإرهاب. "ربما" كان عنوانا لديوان شعري أخرت المأساة مخاضه في أوانه، ليولد بعد ست سنوات من الأمن الوطني محملا بما عايشته "راوية يحياوي" من ذكريات الخوف والكرب في زمن الفجيعة.

3. تجليات أدب الأزمة في ديوان "ربما":

3. 1. حول تكوين الديوان:



يتكون الديوان من 78 صفحة تضم 17 قصيدة نثرية: الجرح الممرغ، عقابيل، حشرجة القرار، الظل المتيم، أوزريس، غنج الذاكرة، المقت، لوطني الممنوع من الصرف، قصيدة بلا عنوان، هاجس متاهات السفر، اغويا ولدي، بصيرة مرآتي، ربما، وشم لزيتونتي، محراب الأبجدية، شرنقة لعذابات بالية، عودوني.

حمل إهداء من لدن الشاعرة وتقديما للسعيد بوطاجين، وومضة شعرية أسمتها "ما قبل البدء" وقعتها بـ"بنت الريف" وهي الكنية التي التصقت باسمها على ظهر الغلاف الذي حمل بطاقة جانبية حمراء توزعت على نصفها أبيات من الشعر، واكتملت في باقي المساحة البيضاء موحية إلى خضرمة زمن النشر والكتابة المتأرجح بين الحرب والسلم. بينما طبع عليها بخط كوفي بالأخضر حرف الجيم الرامز للجزائر وحرف العين الدال على العروبة قد خط أسفله ولون بالأبيض. أما العنوان "ربما.." فاحتل منتصف الصفحة بخط غليظ متبوعا بعلامتي تعجب تساعدان في جذب المتلقي لتصفحه. تكفلت «الجاحظية» بنشره تحت ميزانية تظاهرة "الجزائر عاصمة الثقافة العربية" سنة 2006بالجزائر العاصمة.

3. 2. الشاعرة وو اقع المحنة:

لملمت الشاعرة آلامها التسعينية ونثرتها في مجموعة شعرية شكلت من "الضم" و"الكسر" و"السكون" معجما حركيا متناحرا في مهجة ملتهبة قيدتها سلطة البارود، فها هي تبوح بحزنها في "مقت"، تقول:

عفوا قدري...
كم مقت نصفي الأسفل.
والمرآة تغازل وهج عيني
دون رسم لذة الحمى الغجرية
أتثاءب
ليست اغفاءة السكون سيدتي
ليست تسابيح عاشقة
لكنها...
كيف لكم أن تسرقوا
حلمي قسرا
وتلوثوا كل الفصول
أول المطر
علقتم نهدي عربونا
وكان الفري ثقيل
أول الزهر
صادرتم الزغرودة
وكان الحداد أمير
يضاجع العروس في هودجها
وأول المصيف
كسرتم الشراع
وغازلتم الطفلة
كي تحمل منجلا
وسط الليل
تشتهي شبق السنابل
أول العنب
اختصرتم النظرة
إلى حضارة خنثى

تشتهي كل الرجال
الصعاليك...
الدجالين..
الوطنيين...
ولكنها نسيتني
لم يعد ممكنا الوجود في اللاوجود
لم يعد ممكنا الاحتضار
ولكن برغم الشفاه اللعينة
سأجمع الأبجدية
ورغم الر ائحة الماكرة
سأحترف الوطنية
غدا عرسي الأخضر
اجمعوا لي ورودا
هيئوا لي وليمة الفقراء
افرشوا الرصيف
أتساءل:
هل ستحضنني مدينتي
مع الصباح
وقد وهبت أنوثتي
مخلوقا قالوا عنه: رجل
قالوا أيضا:
مدينتي تأكل رجالها
كيف إذن ستمهل رجلي؟
عفوا قدري
مقت نصفي الأعلى
عندما اجتمعت الكسرة بالضمة
في وجهي

ولما حشدوا التجاعيد
شاخ الوطن في عيني
وشل قلبي
بقيت أنشد التجلي
وكانت رقبتي
معقل الكلمات المحنطة
فتزدريني وحدتي مع الفراغ
وتزدريني أكثر مع النواح
في مدينة العناكب
التي تختلس خيوطها
فأين الشفق؟
هل أسعل كي أجرف الكلمات؟
هل أسأل ربكم المزيد من الأنبياء؟
هل أنشد ربكم عقم حواء؟

سلوم في 1993[2]

تتجرع الشاعرة ألام أنثى خانها القدر مع السلطة الذكورية المغلفة بخزعبلات تدعي الإسلامية، إذ تنفك أواصرها وهي بين جذب مضنٍ من أعلاها إلى أسفلها في حركة مد وجزر تتبادلها الهيئات المتناحرة على سيادة الوطن، فتصور الرغبة الغريزية مرسومة أسفلها وقد كرهت الجحود البصري المنهك لجسدها بعد أن صودت أحلامها ونكل بقوامها وتحولت عروسا حزينة تلبس الحداد.

عاتبتهم أيضا على التحرش بالفتيات وأضمرت رسالة استغلالهن في الأدغال من خدمتهن المضنية في أشغال الطبخ والتنظيف وظفر اللحي المحناة وتجهيز الأسرة الليلية في الكهوف المظلمة، فوصفت مأساتهن بعد أن غرر بهن أو أسرن أو بعن في زمن الأزمة.

ثم ما لبثت أن تناست واقعها الأليم، وشقت طريقها بين المروج الخضراء في انتظار غد مشرق ترتدي فيه فستان السلام بعد أن تقمصت دور الوطن وتأهبت تنتظر رجلها

[2]. راوية يحياوي: ربما (مجموعة شعرية)، الجاحظية، وزارة الثقافة. الجزائر 2006. ص 44.

المخلص لكن أحلامها انطفئت وهي تشاهد الرجال المخلصين يدفنون في قبور جماعية، فانعزلت من جديد في وحدتها تنوح على بلاد هجرها الأخلاء وتخلى عنها الصالحون، فأنشدتهم رحما عفيفا ينجب نبيا يفك مشبكها وينقذها من قيض جهنمها.

تجلت الأزمة في معجمها السقيم الدال على حالة الوطن الموهن بالمحن: الحمى، السكون، التجاعيد، الشيخوخة، الشلل، الاحتضار، التحنيط، العقم. فجسدته عليلا مربكا ينتظر شفاءه على يد طبيب نبيل. كما وصفت نكبة الأمة التي قبر رجالها واستغل نساؤها من قبل الصعاليك (المسؤولون الفاسدون) والدجالين (الراديكاليين الإسلاماوين) اللذان حولا المدينة إلى مرتع شبحي خالٍ إلا من شباك العناكب وبعض من لم يحالفهم الحظ في لعبة الهرب.

لقد عبرت القصيدة عن حال البلاد والعباد إبان العشرية السوداء فتكرر صوتها الرائي الجهوري منخفضا بالظلم المستبد المتربص بالوطن كقدر فريما كري سرق ابتسامة غجرية ويصادر حلم الفقراء بكابوس الاحتضار، رغم ذلك يرتفع بالتحرر كرائحة زهر افترشها رصيف المطر، أو كزغرودة عروس تدوي بالفرح لأمير، أو كرسم حضارة خضراء موردة تنجلى في نظرة امرأة حرة تصرخ في رجالها: بركم فكوا رقبتي.

ويعاود الموت الحضور بين أبيات قصيدة سمتها "لوطني الممنوع من الصرف" كمحاولة منها لردع الجهات المتقاتلة على بيعه وتسليمه على طبق من رخام للأعداء، فحولت تجربتها النفسية وجوانبها الانفعالية الممزوجة بجوانبها الفكرية إلى كلمات جامحة تعبر عن واقعها المرير[9] فتقول:

كم هو بارد حجرك يا وطني
وأعاصيرك تلبسها كل الأزقة
وعبثا نغازلك بأيدينا الممرغة
يأتيك وجه اليمام
برد الإغفاءة مع قيلولة الأحزان الشقية
ولكن الجمارك
اعتقلوا وجهه وهو يحتضر
وسط الغلابى
مع الفتحة

أجهضوا دمية وكلمات أغنية
مارسوا حروفها بين البرغي والمسمار
وطردوا نورس البحر من لسح العرق
مع الكسرة
سحبوا من تحت رجليه السجاد
رموه في خم الدجاج
بعد أن علموه شهية تكبيرة الاحرام
كان لا بد للمسألة من نفاذ
لكنك عشقت الدوام مع المد
جزا... جزو... جزي
وكان لك الناي في خرقة جنائزية
تمارس غمغمات المد دون الشد
ورواسب ماضيك
في أوركسترا اللحن تتبختر
فعذرا تاريخي
ينظف وجهي
وألطخ شرفه...

سلوم، أوت 1994.[10]

قراءة منكوبة أخرى تتلى من وجع الأمس، يتكرر كسر الغلابة بين البرغي والمسمار اللذان مثلا طرفا الصراع السلطوي، فالبرغي بحجمه الكبير وتعدد رؤوسه يرمز للنظام الحاكم والمسمار بصدئه وقزم طوله يعود على الطرف المناوئ. وفي ظل هذا التزاحم والتناحر يفر المبدع إلى خلوته معتزلا كل من حوله مقاوما المد التجهيلي بالتفكير والتأمل كطائر النورس المقاوم لغضب الطبيعة وقسوتها بحكمة وثبات دونما المجازفة برياح المحيط المميتة.

لكن المعادين للفن والإبداع سحبوا من تحت رجليه الريادة ورموه ذليلا في الخم، ومارسوا ضده حملة ترهيبية ليستقيل من الركح الثقافي وينغلق على نفسه بعد أن أوصدوا

أمامه أي باب للنشر وللبوح، فتمظهرت بذلك مأساة المثقف التي دفعته للانتحار أو للجنون إن سلم من سهام الاغتيال المسبوقة بتكبيرة الإحرام.

فحمل المغرر بهم المجز وهموا يقطعون أعمار إخوانهم جماعات، إناثا ومثان مطبقين أوامر أميرهم (جزا... جزوا... جزي) متخذين من ثلاثية الأحرف الجزائرية ذريعة لتشيكلة وطنية جديدة مرضخة بالخضاب، تحرق لحن الحياة وتدفنه بين دفتي تاريخ مشوه، وحتى من هاجروا لم يسلموا من قبضة الحدود، واعتقلوا من قبل الجمارك وأهينوا بعد أن وصمت جباههم بلفظة الإرهاب، فدفعوا كرامتهم للآخر مقابل صك عمري جديد في حضرة الاغتراب.

تجلت ثلاثية الطيور: اليمام/النورس/الدجاج لتشكل بنية هرمية للمثقف، إذ تبسق روحه الطاهرة الملهمة في قدسية اليمام ورمزية السلام وتتجلى متمظهرة في شخصيته المقدامة الممثلة بالنورس، لكن أحلامه تنجلي وتتناثر في خم الدجاج الذي لا يفكر إلا بالطعام والشراب ولا يعمل عقله في التدبر.

امتزجت القصيدة بالكلمات المتضادة: ينظف/يلطخ، الحجر/الزقاق، الأغنية/التكبيرة، السجاد/الأوركسترا، الكسرة/الضمة تعكس الخوف من مجابهة الواقع ورفضه وتصور العجز أمامه فجراح الوجدان ممرغة تحتضر مع كل جنازة.

4. خاتمة:

لقد «ثبطت أزمة العشرية السوداء جميع الفنون على اختلاف أنواعها وأجناسها، فأضحى الفنان مغربا ومهجرا ومهددا بالقتل، بل إن بعضهم دفع روحه ثمنا لذلك»11 ما جعل الموت ملازما لصوت الشاعرة التي رأته حقيقة حتمية لا مفر منها، فاستلهمت من الطبيعة جمادا وحيوات رموزا تستعين بها في تجسيد عوالمها المتخيلة الموغلة في المجهول والايهام.

وصفت "راوية يحياوي" تيهها في زمن الخيبة بنسق قاتم مغرق في السوداوية والتشاؤم، موظفة لغة مفجوعة مختزلة عميقة المعنى كتبتها في عجل وسط الفوضى والدمار بحس ارتجالي آني أنجبته من رحم الفجيعة والقهر. فكانت قصائدها السوداء وثيقة إبداعية تؤرخ لزمن الأزمة، كما كانت متنفسا عن الكبت وتخفيفا من البؤس والألم الذي غشاها، ومنفذا للصراخ بوحدة الوطن وبشرعيته بين يدي الأكفاء.

5. مراجع البحث وإحالاته:

[1]، ابن منظور: لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، مج 1، ط1، بيروت، لبنان. 2000. ص 43.

[2]إبراهيم فتحي، أحمد الزيات، وآخرون: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالفاهرة، دار الدعوة،2013، ص 9.

[3]هاشم صالح مناع: روائع من أدب العربي (العصر الجاهلي/ الإسلامي، الأموي، العباسي)، دار الفكر، ط3، بيروت، لبنان. 1994. ص17.

[4]محمد مفيد الشوباشي: الأدب ومذاهبه من الكلاسيكية الاغريقية إلى الواقعية الاشتراكية، دار الكتاب العربي، القاهرة، مصر. 1970. ص99.

[5]ينظر، محمد مندور: الأدب ومذاهبه، دار النهضة، القاهرة، مصر. 1979. ص 9.

[6]ابن منظور، لسان العرب، مادة أزم، ص 74.

[7]يوسف أحمد أبو فارة: إدارة الأزمات، مدخل متكامل، دار اثراء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن. 2009. ص 25.

[8]نبيل راغب: التفسير العلمي للأدب (نحو نظرية عربية جديدة)، المركز الثقافي الجامعي، مصر. ط1. 1980. ص138.

[9]. ينظر، نبيل راعب: التفسير العلمي للأدب (نحو نظرية عربية جديدة)، ص 137.

[10]راوية يحياوي: ربما (مجموعة شعرية)، ص 50.

[11]Brahim Hadj Slimane, La création artistique en Algérie, L'emballage, MARSA édition (Alger/Paris), 2003, p2, تر.خا

6. قائمة مصادرومراجع البحث:

1.6. المعاجم:

ابن منظور: لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، مج 1، ط1، بيروت، لبنان. 2000.

2.6. المؤلفات العربية:

إبراهيم فتحي، أحمد الزيات، وآخرون: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة،2013.

راوية يحياوي: ربما (مجموعة شعرية)، الجاحظية، وزارة الثقافة الجزائرية، دط، 2006.

محمد مفيد الشوباشي: الأدب ومذاهبه من الكلاسيكية الاغريقية إلى الواقعية الاشتراكية، دار الكتاب العربي، القاهرة، مصر. 1970.

محمد مندور: الأدب ومذاهبه، دار النهضة، القاهرة، مصر. 1979.

نبيل راغب: التفسير العلمي للأدب (نحو نظرية عربية جديدة)، المركز الثقافي الجامعي، مصر. ط1. 1980.
هاشم صالح مناع: روائع من أدب العربي (العصر الجاهلي/ الإسلامي، الأموي، العباسي)، دار الفكر، ط3، بيروت، لبنان. 1994.
يوسف أخمد أبو فارة: إدارة الأزمات، مدخل متكامل، دار اثراء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن. 2009.

3.6. المؤلفات الأجنبية:

Brahim Hadj Slimane, La création artistique en Algérie, L'emballage, MARSA édition (Alger/Paris), 2003